الدوس هكصلي

يتحدّث عن فنّ الرّوائي

– هل لك ان تقول شيئاً لنا عن الطريقة التي تكتب بها ؟

هكصلي: انا اكتب بانتظام ؛ اشتغل على كتابتي دائماً في الصباح ، واعود اليها ايضاً لفترة قصيرة قبل موعد العشاء . لست ممن يكتبون اثناء الليل ؛ افضل ان اطالع اثناء الليل . واعمل في العادة اربع ساعات او خمساً في اليوم الواحد . اثابر على الكتابة لاطول وقت ممكن ، الى ان اشعر ان ما اكتبه بدأ ينخفض مستواه . عندما يحدث ذلك آخذ بالقراءة – سواء بقراءة الروايات او كتب التاريخ او علم النفس – لا لكي استمد منها افكاراً او معلومات ، بل كي اتمكن من معاودة الكتابة . اي كتاب تقريباً يستطيع ان يفيدني بهذا الصدد .

– هل تراجع وتعيد ما تكتبه بعد ان تفرغ منه ؟

هكصلي : بصورة عامة ، اكتب كل شيء عدداً كبيراً من المرات . جميع الافكار التي تظهر في كتاباتي هي افكار لم تأتني عندما كتبت ما كتبت للمرة الاولى .

– هل تحتفظ بدفتر تدون فيه ملاحظات لكتبك، كما يفعل بعض اشخاص رواياتك؟

هكصلي : لا ، لا احتفظ بدفاتر . كنت من حين لآخر ادون مذكرات ، لفترات قصيرة ؛ لكني كسول جداً ، لذا فمذكراتي هي لفترات محدودة . اعتقد ان على الاديب ان يحتفظ بدفاتر ، لكني انا لا افعل .

– هل تبني رواياتك فصلاً فصلاً ام هل تضع التصميم العام الشامل لها عند شروعك بها؟

هكصلي : اني اكتبها فصلاً فصلاً ، واتلمس طريقي من فصل لفصل . عندما اشرع برواية ، لا اعرف ما الذي سيحدث فيها الا الحد بسيط . تكون لديّ فكرة عامة جداً ، ثم تتطور الامور اثناء كتابتي لها . وقد حدث اكثر من مرة اني كتبت صفحات طويلة

جداً ثم اكتشفت انها لا تفي بالغرض فكان عليّ ان احذفها بكاملها. وطريقتي ان انهي كل فصل وانقحه نهائياً قبل ان ابدأ بالفصل اللاحق . لكني لا اعرف قط معرفة جازمة ما الذي سيحدث في الفصل اللاحق الى ان اكون قد بدأت بكتابته .

– هل تجد ذلك ملذاً ام تجده مؤلماً ؟

هكسلي : لا ، ليس مؤلماً ، ولو انه متعب . الكتابة عمل يستغرق على الكاتب كل جهده واحياناً يكون مرهقاً. لكني اعتبر نفسي على الدوام سعيد الحظ جداً لاني استطيع ان اكسب معيشتي من عمل امتع به . قليلون هم الذين يكتسبون معيشتهم من اعمال يتمتعون بها .

– هل تستعمل خرائط او رسوماً بيانية او سواها دليلاً لك في كتاباتك ؟

هكسلي : لا ، لا استعمل شيئاً من ذلك ، ولو اني اقرأ كثيراً من الكتب المتعلقة بموضوعي . كتب الجغرافيا تفيد جداً في جعل الكتابات لا تنحرف عن جادة الصواب . لم اجد اية صعوبة في تصوير انكلترا تصويراً صحيحاً جغرافياً في روايتي «عالم جديد شجاع» ، لكن كان عليّ ان اقرأ كميات هائلة من الكتب عن نيو مكسيكو لاني لم اكن قد زرتها قط . قرأت كل ما وصل يدي من تقارير علمية عنها ، ثم عملت جهدي لاتخيلها. ولم اذهب فعلاً اليها الا بعد ست سنوات ، في ١٩٣٧ ، عندما ذهبت لزيارة فريدا زوجة لورنس .

– عندما تبدأ برواية ما ، اية فكرة عامة تكون عندك ؟ كيف ابتدأت برواية «عالم جديد شجاع» مثلاً ؟

هكسلي : بدأت ذلك الكتاب كمحاكاة هزلية لكتاب هـ. ج. ويلز «اناس كالآلهة» ، لكنه اخذ يتغير تدريجياً وانقلب شيئاً مختلفاً كل الاختلاف عما كنت انويه اصلاً . فكنت كلما ازداد اهتمامي بالموضوع ، ابتعد اكثر فأكثر عن هدفي الاصلي .

– بعض الكتاب يترددون في التحدث عما يكتبونه حالياً ولم يفرغوا منه بعد، خشية ان يؤثر ذلك على كتابتهم له . اتخاف انت من ذلك ؟

هكسلي : لا ، لا يزعجني ابداً ان اتحدث عما اكتب . بل الواقع انه قد يكون شيئاً حسناً ان افعل ؛ فذلك قد يوضح لي ما احاول ان افعله . لم اتحدث قط حديثاً طويلاً عن كتاباتي ، لكني لا اظن ان الحديث يؤذيها بشكل من الاشكال . لا اظن ان هناك خطراً في ان تتبخر الافكار او المعلومات نتيجة لذلك .

– بريشة بول دارو

هذه المقابلة مع ألدوس هكصلي ، الذي توفي في الشهر الفائت ، حلقة اخرى في سلسلة المقابلات الادبية التي تنشرها « حوار » بانتظام مع الادباء العالميين البارزين . وقد قام بها جورج ويكس و ري فريزر . وننشرها بالاتفاق مع مجلة « ذي باريس ريفيو » التي ظهرت فيها اولاً .

– بعض الكتّاب ، فيرجينيا وولف مثلاً، حساسون حساسية مؤلمة للنقد . هل يؤثر عليك النقاد تأثيراً كبيراً ؟

هكصلي : لا ، لم يؤثر النقاد عليّ قط ابداً ، وذلك لسبب بسيط هو اني لم اقرأ كتاباتهم مطلقاً . اني لا اكتب ابداً لاي شخص او اي جمهور معين ؛ كل ما احاوله هو ان اكتب بأحسن وجه استطيعه والا اعبأ بما يحدث بعد ذلك . النقاد لا يثيرون اهتمامي ، لانهم يعنون بالماضي وبما قد انتهى ، في حين اني انا معنيّ بما سيأتي . لهذا فاني لا اعود مطلقاً الى قراءة رواياتي السابقة . ربما كان لزاماً ان اعود لقرائتها يوماً ما .

– كيف ابتدأت تكتب ؟ هل تتذكر ؟

هكصلي : بدأت اكتب عندما كان عمري سبعة عشر عاما ، خلال فترة كنت فيها فاقد البصر تماماً تقريباً ولم يكن باستطاعتي ان افعل اي شيء آخر . فكتبت رواية على الآلة الكاتبة ؛ لم يكن بوسعي حتى ان اقرأها. لا اعرف ما الذي حل بها ؛ اتمنى ان اراها الآن ، لكنها قد فقدت . كانت عمتي اشبه بعرّابة ادبية لي . كنت اعقد واياها احاديث

طويلة عن الكتابة ، وكانت تسدي اليّ من النصائح الشيء الكثير . كانت هي ايضاً تكتب ، وكانت لها عادة غريبة : فقبل ان تبدأ بالعمل على اية رواية جديدة كانت تقرأ رواية ديدرو «ابن اخي رامو» . كانت هذه الرواية تعمل كمحرك لها وكنقطة انطلاق . فيما بعد ، اثناء الحرب وبعدها ، قابلت عدداً ضخماً من الكتّاب عن طريق الليدي اوتولين موريل. كانت تدعو اناساً من كافة الفئات الى منزلها الريفي. هناك قابلت كاثرين مانسفيلد وسيغفريد ساسون وروبرت غريفز وجميع افراد جماعة بلومزبري. كما اني مدين جداً الى روجر فراي ، فالاستماع الى احاديثه عن الفنون كان ثقافة حررتني من كثير من القيود . في اكسفورد بدأت انظم الشعر . نشرت عدداً من الدواوين قبل ان اتجه الى الى كتابة القصص . كنت محظوظاً جداً ؛ لم التقَ اية صعوبة قط في العثور على ناشر . بعد الحرب ، عندما تركت اكسفورد ، كان عليّ ان احصل معيشتي . عملت في مجلة «اثينايوم» ، لكن راتبي كان زهيداً جداً ولم يكن يكفي لسد زادي ؛ ولهذا عملت في اوقات فراغي في مجلات «فوغ» و «فانيتي فير» واحياناً في مجلة « البيت والحديقة » . كتبت مقالات عن مواضيع مختلفة ، عن السجاد العجمي وتزيين الغرف . بالاضافة الى هذا كتبت نقداً مسرحياً «لمجلة وستمنستر» ، بل اني (هل تصدقان؟) كتبت نقداً موسيقياً. اني انصح الكاتب الناشيء من كل قلبي بان يعمل في الصحافة على هذه الشاكلة كفترة تمرين له . انها تجبره على الكتابة في كل موضوع تحت الشمس ، وتجعله يكتسب سلاسة ، وتعلمه كيف يجعل المواد طيعة في يديه بسرعة ، وتجعله ينظر الى الاشياء . لكن لحسن الحظ لم اضطر الى البقاء طويلاً في ذلك العمل . في ١٩٢١ ، لم يعد ضرورياً لي ان اشغل بالي كثيراً بمسألة تدبير معيشتي . كنت قد تزوجت وكان بوسعنا آنذاك ان نعيش في اوربا — في ايطاليا الى ان جعل الفاشيستيون الحياة فيها مزعجة ، ثم في فرنسا . وكان لنا بيت صغير في ضواحي باريس ، كنت استطيع فيه ان اكتب دون ان يزعجني احد . وكنا نصرف جزءاً من كل سنة في لندن ، لكن الحياة فيها كانت صاخبة جداً فلم اكن اقدر ان انتج كثيراً وانا هناك .

— هل تعتقد ان بعض الوظائف تساعد الكاتب اكثر من سواها في عمله الخلاق ؟ او هل يؤثر العمل الذي تعمله او الجماعة التي تكون برفقتها على كتابتك ؟

هكسلي : لا اعتقد ان هناك عملاً مثالياً هو خير من سواه للكاتب . فباستطاعته ان يكتب في جميع الظروف ، حتى في عزلة تامة . انظرا الى بلزاك : عزل نفسه في غرفة

سرية في باريس ، مختبئاً من دائنيه ، وانتج «المهزلة الانسانيـة » . او تأملا في بروست في غرفته المغلفة بالفلين (مع انه كان بالطبع يستقبل كثيراً من الزائرين) . انا اعتقد ان خير عمل للكاتب هو بكل بساطة ان يجتمع باكبر عدد ممكن من النـاس بمختلف انواعهم وان يتعرف على اهتماماتهم . هذه احدى مساوىء التقدم في السن : فانك تميـل آنئذ الى التعرف تعرفاً حميماً على عدد اقل من الناس .

– ما الذي يجعل الكاتب برأيك مختلفاً عن بقية البشر ؟

هكسلي : اولاً ، ما له من دافع لترتيب وتنسيق الوقائع التي يلاحظها ولاعطاء معنى للحياة ؛ يضاف الى هذا حبه للالفاظ لاجل ذاتهـا ورغبته في استعمالهـا . المسألة ليست مسألة ذكاء ؛ هناك من هم مفرطون في الذكاء ولا تنقصهم الاصالة لكن ليس لهم حب الالفاظ او البراعة في استعمالهـا بشكل فعّـال ، فهم على الصعيـد اللفظي يعبرون عن انفسهم تعبيراً سيئاً .

– ماذا تقول في القدرة على الخلق والابداع بصورة عامة ؟

هكسلي : ماذا اقول فيها ؟ لماذا نجد ان التربيـة والتعليم يقتلان في معظم الاطفـال دافعهم نحو الخلق والابداع ؟ لمـاذا نجد ان عدداً كبـيراً من الفتيان والفتيـات يتركون المدرسة واحاسيسهم بليدة وعقولهم مغلقة ؟ ان غالبية الصغار يبدو انهم يصابون بتقلص في شراييـنهم العقلية قبل اصابتهم به في شراييـنهم الجسدية باربعـين سنة . سؤال آخر : لماذا يبقى بعض الناس في انفتاح ومرونة حتى شيخوختهم الطاعنـة في حين يصبح غيرهم متصلباً وينقطع انتاجه قبل سن الخمسين؟ انهـا مشكلة في حقل الكيميـاء الحيوية وتربية الكبار .

– يزعم بعض علماء النفس ان دافـع الخلق والابـداع ما هو الا نوع من النرطقة . أتوافق على ذلك ؟

هكسلي : لا ، الف مرة لا . لا اعتقد ولو للحظة واحدة ان الخلق عارض من عوارض النرطقة . على العكس من ذلك ، ان النرطوقي الذي ينجح كفنان كان عليه ان يتغلب على عقبة كأداء . انه يخلق على الرغم من نرطقته ، لا نتيجة لها .

– انك لم تستفد قط كثيراً من فرويد ، اليس كذلك ؟

هكسلي : المشكلة في علم النفس الفرويدي هي انه قائم بتمامه على دراسة للمرضى . ان فرويد لم يجتمع قط بانسان لا يشكو علة – لم يجتمع الا بمرضى وبمحللين نفسيين على شاكلتهم

يضاف الى هذا ان علم النفس الفرويدي لا يعنيه الا الماضي . يبدو لي ان المدارس الاخرى لعلم النفس ، التي تعنى بحاضر الشخص او امكانياته في المستقبل ، هي اكثر واقعية من مدرسة فرويد .

— هل ترى اية علاقة بين سياق الخلق وبين استعمال مخدرات مثل الليسيرجيك أسيد؟

هكسلي : لا اعتقد ان هناك اية تعميمات يمكن قولها في هذا الموضوع . لقد اثبتت الاختبارات ان هناك فروقاً شاسعة في ردود فعل الناس لليسيرجيك أسيد . ربما كان باستطاعة البعض ان يستمدوا منها ايحاء جمالياً مباشراً لرسوم او لقصائد . لكن ربما كان غيرهم لا يستطيعون . انها لمعظم الناس اختبار خطير جداً ، واعتقد انها تستطيع بصورة غير مباشرة ان تساعد في سياق الخلق . لكن لا اعتقد ان بامكان امرىء ما ان يجلس الى طاولته ويقول: «اريد ان اكتب قصيدة رائعة، ولهذا فاني سآخذ ليسيرجيك أسيد». لا اعتقد انه سيحصل ابداً على النتيجة التي توخاها — كل النتائج ممكنة في تلك الحال .

— هل من شأن المخدر ان يساعد الشاعر الغنائي اكثر مما يساعد الروائي ؟

هكسلي : لا شك ان الشاعر يستطيع بمساعدته ان يحصل على نظرة فذة للحياة لم يكن ليستطيع ان يحصل عليها باية طريقة اخرى ، وهذا يمكن ان يساعده مساعدة عظيمة . لكن الواقع (وهذا اهم ما في الاختبار) انك اثناء الاختبار لا يهمك ان تقوم بفعل اي شيء عملي — حتى ولا كتابة الشعر الغنائي . ان كنت على علاقة غرامية بامرأة، أفهل يهمك ان تكتب عنها ؟ طبعاً لا . واثناء الاختبار لا تهمك كثيراً الالفاظ ، لان الاختبار يتخطى الالفاظ ولا يمكن التعبير عنه عن طريقها . وهكذا فان فكرة التعبير عما يحدث ، اثناء حدوثه ، تبدو سخيفة جداً . اما بعد الحادثة ، فيخيل لي انه من الممكن ان يكون ذا فائدة عظيمة : فيمكّن الناس من رؤية الكون من حولهم بطريقة مختلفة جداً وقد يلهمهم ذلك كتابة شيء ما عنه .

— لكن هل يتبقى شيء كثير من الاختبار ؟

هكسلي : ان المتعاطي يتذكر الاختبار بكامله دائماً. يتذكر ان شيئاً خارقاً قد حدث. ويستطيع الى حد ان يحيا ذلك الاختبار من جديد ، وخاصة تحول العالم الخارجي من شكل الى شكل ، وهذا يساعده في النظر الى العالم بطريقة جديدة . وهو يفهم بوضوح تام كيف رأى العالمَ بعضُ الناس الموهوبين بصورة خاصة، ويتعرف بالفعل على نوع العالم الذي عاش فيه فان غوخ ، او نوع العالم الذي عاش فيه وليم بليك. يبدأ يحس باختبار

مباشر لهذا النوع من العالم وهو لا يزال تحت تأثير المخدر ، وفيما بعد يستطيع ان يتذكر (بل وان يستعيد الى حد) هذا النوع من العالم الذي تنقل فيه بعض اناس مميزين ، كما فعل بليك طيلة الوقت .

– لكن مواهب الفنان لا تتغير عما كانته قبل ان يأخذ المخدر ؟

هكصلي: لا ارى لماذا عليها ان تتغير . لقد اجريت بعض التجارب للتحقق مما يستطيع الرسامون ان يفعلوه وهم تحت تأثير المخدر ، لكن معظم النماذج التي شاهدتها ليست ممتعة ابداً . فانك لن تستطيع قط ان تستعيد بشكل كامل تلك الالوان ، بما فيها من زخم لا يصدّق ، التي تراها تحت تأثير المخدر . معظم الاشياء التي شاهدتها مـا هي الا رسوم تعبيرية مملة ، العلاقة بينها وبين الاختبار الفعلي واهية . ربما كان باستطاعة فنان موهوب بصورة خارقة – فنان مثل اوديلون ريدون (ولعله كان يرى العالم بهذه الشاكلة دائماً على اية حال) – ان يستفيد من اختبار الليسيرجيك أسيد ، وان يستثمر رؤاه كنماذج لرسومه ، وان ينقل الى اللوحة العالم الخارجي كما يحوله المخدر .

– تتحدث هنا بصورة رئيسية ، كما فعلت في كتابك « ابواب الادراك الحسي » ، عن الناحية البصرية من الاختبار تحت تأثير المخدر ، وعن الرسم . هـل هناك فائدة مماثلة من حيث النظرات والملاحظات السيكولوجية ؟

هكصلي : نعم ، اعتقد ان هناك فائدة . فعندما يكون المرء تحت تأثير المخدر تكون له نظرات نفاذة الى الناس من حوله ، والى حياته هو ايضاً . وكثير من الناس يستعيدون ذكريات دفينة شتى . وهكذا فان ما قـد يستغرق ست سنوات في غرفـة المحلل النفساني يحدث هنا في ظرف ساعة – وبنفقات اقل بكثير ! ويمكن للاختبـار ان يحررنا ويوسع آفاقنا بطرق اخرى . فهو يبيّن لنا ان العالم الذي نعيش فيه عادة ما هو الا صنيع هذا الكائن المتمسك بالتقاليد والمتكيف حسب الظروف ، الذي هو نحن ، وان هناك انواعـاً اخرى من العالم خارجنا . وان من الحسن والمفيد جداً ان ندرك ان الكون الرتيب الذي يصرف معظمنا فيه جلّ وقتنا ليس هو الكون الوحيد الموجود . اعتقد انه من المفيد ان يتعرف الناس على هذا الاختبار .

– هل تفيد مثل هذه النظرات السيكولوجية كاتب الرواية ؟

هكصلي: اشك في ذلك . فالرواية هي ثمرة مجهود متواصل . واختبار الليسيرجيك أسيد هو كشف لشيء خارج الزمان والنظام الاجتماعي . وكاتب الرواية يحتاج الى سلسلة بكاملها

من الوحي والالهام فيما يتعلق بالناس في بيئة فعلية ، ومن بعدها الى قسط كبير من الجهد والعمل على اساس ذلك الوحي والالهام .

– ما الذي ادى بك الى القيام بتجاربك في حقل الميسكالين والليسيرجيك أسيد ؟ .

هكسلي : الواقع انها كانت تثير اهتمامي منذ وقت طويل ، وكنت على اتصال بالمراسلة بهمفري اوزموند وهو طبيب نفساني بريطاني شاب وموهوب جداً يعمل في كندا . وعندما بدأ بالقيام بتجاربه حول مفعول هذه المخدرات على اناس من كافة الفئات ، صرت واحداً من الاشخاص الذين اجرى عليهم التجارب . وقد وصفت كل هذا في « ابواب الادراك الحسي » .

– عندما تفكر برواياتك ، ايتها ترضيك اكثر ؟

هكسلي : اعتقد شخصياً ان انجحها كانت « لا بد للزمن ان يقف » . لا ادري لماذا ، لكن بدا لي اني نجحت فيها اكثر مما نجحت في رواياتي الاخرى بالدمج بين ما يمكن ان يسمى عنصر المقالة وبين العنصر الروائي . قد اكون مخطئاً في حكمي ، لكني احبها اكثر من سواها لاني اشعر باني نجحت فيها اكثر مما نجحت في سواها .

– اذاً فانت تعتقد ان مشكلة الروائي هي ان يدمج « عنصر المقالة » بالقصة ؟

هكسلي : هناك كثير من القصاصين المتفوقين الذين ليسوا سوى قصاصين فحسب ، واعتقد ان موهبتهم موهبة هائلة ؛ ولعل ابلغ مثال عليهم هو دوما ، ذاك الشيخ الخارق الذي جلس الى طاولته وكتب ستة اجزاء من « كونت مونته كريستو » في غضون اشهر قليلة . وكان الكتاب وايم الحق هائلاً ! لكن هذا ليس الكلمة الاخيرة : فعندما نجد قصة تحوي في الوقت ذاته معنى ، وكأنها مثل من الامثال (كما نجد في دستويفسكي وفي تولستوي في خيرة كتاباته) ، فاني اشعر ان هذا شيء خارق للعادة . واني تأخذني الدهشة عندما اقرأ من جديد روايات تولستوي القصيرة ، مثل « موت ايفان ايليتش » . كتاب مذهل فعلاً ! او بعض روايات دستويفسكي القصيرة ، « مثل ملاحظات من تحت الارض » .

مَن مِن الروائيين تحب بصورة خاصة ؟

هكسلي : يصعب جداً عليّ ان اجيب على مثل هذا السؤال . اني اقرأ كتباً من هنا وهناك احبها واستمد منها وتبعث فيّ الحماس على الكتابة . في شبابي ، عندما كنت في الجامعة ، كنت اقرأ كثير من الروايات الفرنسية . كنت مولعاً جداً بروائي لم يعد محبباً

اليوم ولا يماشي هذا العصر – هو اناتول فرانس . واذكر ايضاً اني قرأت الجزء الاول من رواية بروست في ١٩١٥ وانها تركت فيّ اثراً هائلاً (قرأتها ثانية مؤخراً واحسست بخيبة امل) . وقرأت اندريه جيد في ذلك الوقت ايضاً .

– كثير من رواياتك الاولى ، وخاصة «نغمة ازاء نغمة» ، تبدو انها كتبت تحت تأثير بروست وجيد . أصحيح هذا ؟

هكسلي : ربما كانت بعض رواياتي المبكرة متأثرة بعض الشيء ببروست . لا اعتقد اني سأعمل في اي وقت في المستقبل تجارب حول معالجة الزمان وتذكار الاشياء الغابرة كما فعلت في «ضرير في غزة» ، منتقلاً اماماً وخلفاً في الزمان بغية اظهار ضغط الماضي على الحاضر .

– وفي بعض من رواياتك تلك المبكرة تستعمل تأثيرات موسيقية ، كما يفعل جيد .

هكسلي : الشيء المدهش في الموسيقى انها تفعل بسهولة وبسرعة فائقتين ما لا تستطيع الالفاظ ان تفعله الا بعناء بالغ ، او ما لا يمكن في الواقع فعله مطلقا . من العبث حتى ان يحاول المرء أن يكتب موسيقياً . لكني حاولت ذلك في بعض مقالاتي ، مثل «مواضيع وتنويعات» . كما اني استعملت ما يرادف التنويعات الموسيقية في بعض اقاصيصي ، حيث آخذ خصالا معينة واعالجها جدياً في شخص ما وهزلياً (بشكل يشبه المحاكاة الهزلية) في آخر .

– هل اعجبك جويس كثيراً ؟

هكسلي : لا ، لم يعجبني قط اعجاباً شديداً . لم استفد قط كثيراً من «يولسيز» . اعتقد انه كتاب فذ ، لكن اجزاء كبيرة منه تدلل باسهاب على كيف يجب للرواية ان لا تُكتب ، أليس كذلك ؛ انه يُري كل طريقة ممكنة يجب الا تُكتب بها ، وبعدها يُري كيف يجب ان تُكتب .

– وما رأيك في روايات فيرجينيا وولف ؟

هكسلي : ان رواياتها غريبة جداً . فهي في غاية الجمال ، أليس كذلك ؟ لكن القارىء يتركها باحساس غريب – انها ترى الاشياء بوضوح هائل ، لكنها تراها دوماً وكأنما من وراء زجاج : انها لا تلمس شيئاً ابداً . كتبها ليست كتباً مباشرة . انها تحيرني جداً .

– وما رأيك في هنري جيمز ؟ وفي طوماس مان ؟

هكسلي : جيمز لا يستثيرني في شيء . واجد مان مملاً بعض الشيء ، لكن لا شك انه روائي يستدر الاعجاب . هل تعرفان اني كنت اذهب كل صيف الى المكان الذي يصفه

في «ماريوس والساحر» – ويبدو لي اني لم اشعر قط بحس المكان في كتابات مان .

– ما دمنا بذكر المكان ، هل تعتقد ان كتاباتك قد تأثرت بانتقالك من انكلترا الى الى امريكا ؟

هكصلي : لست ادري – لا اظن ذلك . اني لم اشعر قط ان للمكان الذي اعيش فيه اهمية عظيمة بالنسبة لي .

– اذاً فانت لا تعتقد بان المناخ الاجتماعي ذو اثر كبير في الرواية ؟

هكصلي : وما هي «الرواية» ؟ كثيرون يتكلمون على «الرواية» او «الكاتب» كما لو ان بوسع المرء ان يطلق تعميمات حولها . هناك على الدوام افراد متعددو الفئات جداً في جماعة الكتّاب ، والرواية لون من الادب يضم اشكالاً كثيرة . اعتقد ان بعض اشكال الرواية تستدعي ولا شك نوعاً معيناً من الامكنة الجغرافية . فروائي مثل ترولوب لم يكن يمكن ان يكتب الا في المكان الذي كتب فيه ؛ لم يكن يمكنه ان يذهب الى ايطاليا مثل بايرون او شلي ؛ كان لا بد له من ان يكون في انكلترا ، يحيا حياة الطبقة المتوسطة . لكن انظرا الى لورنس. في اول عهده كان المرء ليعتقد انه لا غنى له عن البقاء في انكلترا قرب مناجم الفحم . لكنه استطاع ان يكتب في اي مكان عاش فيه .

–بعض الشخصيات في رواياتك مبنية كما يبدو على اشخاص عرفتهم – على لورنس ونورمان ضوغلاس ومدلتون مري مثلاً . أصحيح هذا ؟ وكيف تحول شخصاً واقعياً الى شخصية روائية ؟

هكصلي : احاول ان اتخيل كيف سيتصرف اشخاص معينون اعرفهم ، في ظروف معينة . طبعاً ابني شخصياتي الى حد على الاشخاص الذين اعرفهم – هذا شيء لا يمكن تجنبه – لكن الشخصيات الروائية مبسطة جداً ، وهي اقل تعقيداً بكثير من الاشخاص الواقعيين. بعض خصال مدلتون مري استعملتها في عدد من شخصياتي، لكني لا استطيع القول اني قد وضعت مري في كتاب. وقد استعملت بعض خصال نورمان ضوغلاس في احدى رواياتي . كنت اعرف ضوغلاس معرفة جيدة في سنوات العشرينات في فلورنسا . كان رجلاً على قسط هائل من الذكاء وسعة الاطلاع ، لكنه كان قد تعمد قصر نفسه وتحديدها لدرجة انه اصبح يكاد لا يستطيع التحدث عن شيء عدا الشراب والجنس ؛ فاصبح حديثه مملاً بعد وقت قصير . هل شاهدتما قط مجموعة المقطوعات البذيئة التي نشرها على حسابه؟ لقد كانت الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها ان يكتسب بعض المال–

كان الله في عونه ! كان كتاباً ابعد ما يكون عن الدعابة والتنكيت . لم اره ابداً في اواخر ايامه .

– لقد صورت لورنس وفريدا في رواية « نغمة ازاء نغمة » ، اليس كذلك ؟ بل انك تتبعت قصتهما تتبعاً مباشراً في كثير من الاحيان .

هكسلي : اجل ، قد يكون هذا صحيحاً ؛ لكني استعملت جزءاً قليلاً من لورنس في الشخصية التي صورتها في ذلك الكتاب . أليس غريباً ومدهشاً ان كل من عرف لورنس شعر انه مضطر الى الكتابة عنه ؟ يخيل لي ان الكتب التي وضعت عنه تفوق في عددها ما وضع عن اي كاتب آخر منذ بايرون .

– يبدو انك قد انصرفت في السنوات الاخيرة عن كتابة الروايات النقدية التهكمية . ما رأيك الآن في هذا اللون من الادب ؟

هكسلي : نعم ، يبدو اني قد تغيرت من هذه الوجهة . لكني ما زلت من انصار هذا اللون من الادب . اننا بحاجة اليه . يخيل لي ان الناس في كل مكان يأخذون الاشياء بجدية بالغة ، وانهم يفرطون في الوقار والرصانة في النظر الى الاشياء . اني من انصار غرز الدبابيس في المؤخرات الوقورة ، وما شابه ذلك . يبدو لي ان هذا عمل مفيد حسن .

– هل كنت معجباً بسويفت في شبابك ؟

هكسلي : نعم ، لقد كنت معجباً جداً به . وبكتاب آخر ، كتاب مضحك جداً ، واحد من الكتب القديمة القليلة التي ظلت على مر السنين مضحكة : «رسائل اناس مغمورين» . انا واثق من ان سويفت كان قد قرأه ، فأسلوباهما متشابهان كثيراً . لقد استفدت كثيراً بوجه عام من القرن الثامن عشر : من هيوم ولو وكربيون وديدرو وفيلدنغ وبوب – مع اني من المدرسة القديمة التي تفضل الشعراء الرومنطيقيين على بوب .

– في مقالة قديمة لك بعنوان «المأساة والحقيقة الكاملة» كلت المديح لفيلدنغ . أما تزال تؤمن بان بوسع الرواية ان تعطي صورة اشمل للحياة مما بوسع المأساة ؟

هكسلي : اجل ، ما زلت اومن بان المأساة ليست بحكم الضرورة ارفع اشكال الادب . ربما كان ارفع اشكال الادب ليس في حيز الوجود بعد . واعتقد ان هناك شكلاً اكثر شمولاً من المأساة وليس دونها جلالاً ، كالذي نجد ظلاً له في مسرحيات شيكسبير . فأعتقد ان العنصر المأساوي والعنصر الهزلي يمكن ان يدمجا معاً دمجاً كاملاً . لا اعرف كيف – لا تسألني كيف . اذا قام فينا شيكسبير آخر في يوم من الايام – وآمل انه

سيقوم – فلعلنا سنرى . وكما قلت في مقالتي تلك، استطاع هوميروس أن يدمج بين هذين العنصرين بشكل ما، ولكن على صعيد بسيط ساذج. وهناك كاتب آخر على مستوى عال من الجلال نجح في الشيء ذاته – هو تشوسر . ان تشوسر قد اوجد سيكولوجيا كاملة من لا شيء مطلقاً : وهذا مأثرة خارقة لا تصدّق . ان من اكبر فواجع الادب الانكليزي ان تشوسر كتب في زمن اصبحت لغته بعده بعيدة عن الفهم . لو انه ولد بعد زمنه بقرنين او ثلاثة لتغير مجرى الادب الانكليزي بكامله كما اعتقد ، ولما كان عندنا مثل هذا الهوس الافلاطوني – الذي يفرق بين العقل والجسد وبين الروح والمادة .

– اذاً فمع انك اخذت في السنوات الاخيرة تكتب روايات اقل مما كنت تكتب في الماضي، فان اكبارك لفن الرواية لم يقل عما كان عليه في الماضي ؟

هكصلي : لا ، لا ، لا . اعتقد ان الرواية – والسيرة والتاريخ – هي الاشكال الابلغ اهمية . واعتقد ان المرء يستطيع ان يقول اكثر عن الافكار العامة المجردة ، عن طريق شخصيات واوضاع معينة ثابتة (سواء أكانت قصصية ام واقعية) مما يستطيع عن طريق التجريد . كثير من مؤلفاتي التي افضلها عن سواها هي كتب تاريخية او بيوغرافية ، وهي بحث فيما ارى انه افكار عامة مهمة عن طريق حياة اشخاص معينين وحوادث معينة. بل اني اعتقد انه ربما كان على الفلسفة برمتها ان تكتب بهذا الشكل والقالب ، فانها لتصبح بذلك اكثر عمقاً واشد تثقيفاً . سهل جداً ان يكتب المرء بطريقة مجردة، دون ان يلحق بالالفاظ الكبيرة معاني كثيرة . لكن حالما يكون عليك ان تعبّر عن افكار ما على ضوء حادث معين وفي ظروف معينة ، فمع ان هذا يفرض عليك بعض الحدود ، فانه في الوقت ذاته يحثك على ان تتعمق جداً في الامر وان تصل فيه ابعد مما كان بوسعك ان تفعل. اعتقد ان الرواية ، والتاريخ والسيرة كما قلت ، هي ذات اهمية قصوى – لا بحدّ ذاتها فحسب ، لانها تعطي صورة عن الحياة الآن والحياة في الماضي ، بل ايضاً لانها وسائل تمكّن من التعبير عن افكار فلسفية وافكار دينية وافكار اجتماعية عامة . صدقاني ان دستويفسكي اعمق من كير كيغارد بمراحل ، لان ما يكتبه هو رواية . في كير كيغارد نجد هذا الانسان المجرد يتحرك – مثل كولريدج – وهذا لا شيء ابداً ان قارناه بالانسان الروائي العميق فعلاً ، الذي عليه ان يحافظ دوماً على هذه الافكار الهائلة ويبقيها حية بشكل ملموس معين . في الرواية تجد التوفيق بين المطلق والنسبي، وتجد التعبير عن العام عن طريق الخاص. وهذا كما يبدو لي هو الشيء المثير – في الحياة وفي الفن على السواء .